مفهوم الاستغراب ودوافعه في كتابات المؤرخين المسلمين

أ.م.د. محمد حسين علي السويطي
كلية الآداب/ جامعة واسط

الخلاصة باللغة العربية

نسعى في محاولتنا البحثية هذه إلى تثبيت فكرة، مفادها: أن دراسة المسلمين للغرب ليست وليدة العصر الحديث، بل هي أقدم من ذلك، إذ ترجع إلى العقود الأولى من تاريخ الإسلام، كما نسعى الى تفنيد مزاعم القائلين بتهميش العرب للآخر وتشويه صورته، فضلاً عن إنها دعوة صادقة لدراسة الآخر بصورة عامة والغرب على وجه الخصوص لنجد أنفسنا ونشخص موقعنا منه لان هذه الدراسة تستلزم فهم الذات أولاً. وبصورة إجمالية عرضنا في هذا مفهوم الغرب وأهمية دراسته، وجملة من الشواهد التاريخية عن دراسة الغرب في مؤلفات المؤرخين المسلمين، فضلاً عن استعراض الملامح الرئيسة لرؤية ابن خلدون للغرب بوصفه رائداً لعلم الاجتماع.

المقدمة:

مما لاشك فيه ان تطور المجتمعات الإنسانية كلاً متصل، فمهما كانت الاختلافات والفوارق التي تميز مجتمع عن اخر أو أمة عن أخرى، فان تلك الفوارق عرضية، تنتج من تراكم مجموعة عوامل تختص بهذه الأمة دون تلك، لكن في النهاية، فان مجتمعاً واحداً يمكن له ان يكون أمة منعزلة قائمة بحد ذاتها دون الآخرين أمراً مستحيلاً، لذلك وبغية أن نتقدم كأمة، وننال ما لنا ونؤدي ما علينا، يجب ان نتواصل مع الآخر تواصلاً يمكننا من فهمه والإفادة من تجاربه، مما يفتح في النهاية بوابات تواصل حضارية وجودية، بما لا يقتصر على نقل ملامح الحضارة ومنتجاتها فحسب، بل نقل روح الحضارة ومواردها، ومن هنا جاءت فكرة تثبيت أصالة دراسة الغرب التي تعرف اليوم بـ(**الاستغراب**) (**Occidentalism**)[1]، التي سعى الكثير عرضاً أو قصداً إلى تجريمها وعدها تذللاً وخضوعاً للآخر، (**الغرب**)، فنبذوا كل من أقدم على دراستهم دراسة علمية وعدوه مذنباً، ولرفع اللبس في الفهم والتطبيق ارتئينا ان نجذر لما نتمنى ان يصبح في المستقبل القريب علم له مناهجه وأصوله، والإشارة هنا إلى الاستغراب.

ونسعى في محاولتنا البحثية الموسومة بـ: **(مفهوم الاستغراب ودوافعه في كتابات المؤرخين المسلمين)** إلى تثبيت أطروحة، مفادها: أن دراسة الغرب ليست وليدة العصر الحديث، بل هي أقدم من ذلك، اذ ترجع إلى العهود المبكرة من تاريخ الاسلام، وبالنتيجة نكشف عن الحوار مع الذات الذي نحن اليوم بحاجة ماسة اليه، لان الحوار مع الآخر لا بد أن يسبقه معرفة بالذات أولاً، كي نقف على أرض صلبة في مواجهة سوء الفهم والعداء اللذين هما رفيقا الجهل في أغلب الاحيان.

وبغية تتبع مقاصد البحث، وتسهيل مراميه، صدرناه بمقدمة كشفنا فيه اسباب اختيار موضوع البحث وأهميته، وقسمناه على أربعة مباحث، عرضنا فيها مفهوم الاستغراب ودوافعه في كتابات المؤرخين

المسلمين ونماذج من استغراب المؤرخين المسلمين فضلاً عن رؤية (ابن خلدون) بوصفه رائداً لعلم الاجتماع للغرب، وقفيناه بخاتمة أوجزنا فيها أهم الاستنتاجات والتوصيات التي تمخضت عن البحث.

المبحث الأول- مفهوم الاستغراب:

قبل التطرق الى مفهوم الاستغراب لا بد من الاشارة الى مسألة مهمة تشكل المحور الأساس في الاستدلال على مفهومه، هي: ان دراسة الغرب لم تكن وليدة العصر الحديث، انما كانت أقدم من ذلك، اذ ترجع الى العقود الاسلامية الأولى متمثلة بالحوار الحضاري الذي شرع به المسلمون في تعاملهم مع الأمم والديانات الأخرى وفق ما اقتضته الشريعة الاسلامية، لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**[٢]، وقد تعددت رؤى الباحثين في مجال الاستغراب وختلفوا في كونه علماً أم حركة؟؟ وما مفهومه؟؟ لكن أغلب اراء الباحثين لا تتعدى حقيقة كون الاستغراب **"طلب الغرب من الشرق"**[٣]، وهو ما سنوضحه من خلال استعراض هذه الاراء والوقوف على المعنى الأوسع للاستغراب.

ويُعد ما كتبه الدكتور (حسن حنفي) عن الاستغراب أول الدراسات الحديثة في هذا الجانب، وذهب في فهمه للاستغراب الى أنه علم يمثل الوجه الاخر أو النقيض من الاستشراق[٤]، مؤكداً على أنه علم يهدف الى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الشرق (**الأنا**) والاخر (**الغرب**)[٥]، وهو يرى في النهاية أنه عبارة عن **"القضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس، مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلما"**[٦]. وقريباً من هذا المفهوم ربط الدكتور (علي ابراهيم النملة) الاستغراب بدراسة الغرب، اذ أطلق على الاستغراب (علم الغرب)، وجسد مفهومه في تبحر الشرق في دراسة الغرب لاسيما اللغات وآدابها[٧]، بينما عرف (أحمد الشيخ) الاستغراب بأنه حركة حضارية وليس علماً، تستند الى شد الانتباه لأشياء معينة في الغرب وتجاهل أشياء أخرى[٨]، فيما قال الباحث (أحمد سمايلوفيتش) إن كلمة (**الاستغراب) مأخوذة من كلمة (غرب)، التي تشير الى غروب الشمس، أما المستغرب وهو الذي تبحر من أهل الشرق في احدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها"**[٩].

وعلى الرغم من اختلاف اراء الباحثين في تحديد هوية الاستغراب أن كان علماً أم حركة أو مجرد مفهوم عرضي أوجدته سياقات التعامل الثنائي بين الشرق والغرب، الا أنه يتطابق بمعناه الواسع مع كتابات المؤرخين المسلمين عن الغرب وما قصده الباحثين في تعريفهم للاستغراب بأنه دراسة أهل الشرق للغرب للوقوف على أحوال ساكنيه وامكاناتهم، لهذا يمكننا تشخيص حلقة وصل بين اراء الباحثين لتحديد مفهوم الاستغراب وتميزه عن بقية المصطلحات المشابه له (**كالتغريب**)[١٠] و(**الميل نحو التحديث**)[١١]، فالاستغراب يهدف الى دراسة الغرب دون محاكاة أو تقليد وهذا ما عبر عنه (حسن حنفي) حين قال **"ان الاستغراب قادر على قراءة حضارة الاخر (الغرب) ويمتلك نماذج تطبيقية لهذه القراءة وانه متمسك بالذات (الثقافة والفكر الاسلامي) ولا يهدف الى تقليد الغرب أو تبعيته أو الاندماج فيه"**[١٢]. وهذا ما ميز (**الاستغراب**) عن غيره من المصطلحات المتعلقة بالعلاقات بين الشرق والغرب امثال (**التغريب**) و(**الميل الى**

التحديث)؛ لأنها تختلف مع الاستغراب في كون مفهوم الاخير يكمن في طلب الغرب والاطلاع على احواله بدافع المعرفة والتواصل لا التقليد والمحاكاة.

في ضوء ما تقدم يظهر ان مفهوم الاستغراب وفق ما كتبه المؤرخون المسلمون عن الغرب هو حركة حضارية انطلقت وتمثلت بحب الاستطلاع والمعرفة في حضارة الغرب، ولم تكن رداً على حركة استشراقية، وهو ما أكده الدكتور (حسن حنفي) في دراسته عن الاستغراب[١٣]. وبذلك يمكننا القول: ان هذا المفهوم لم يأت جزافاً انما جاء متطابقاً مع رؤية المؤرخين المسلمين من الذين اهتموا في كتاباتهم بالغرب والاطلاع على أحواله دون الزام هذا الاهتمام او الدراسة بطبيعة ما انتاب العلاقات بين الشرق والغرب من صراع سياسي واختلاف ديني، ولعل ما ذكره (عمر بن العاص) في وصفه للغرب بقوله: **"... ان فيهم لخصال أربع، أنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم افاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وأخيرهم لمسكين ويتيم، وخامسة حسنة جميلة أمنعهم من ظلم الملوك"**[١٤]. دليل على ان دراسة الاخر لذاته شيء ودراسته لتقليده ومحاكاته شيء اخر. كما ان في ذلك دليل على ان الغرب كان محط اهتمام المسلمين عامة والمؤرخين خاصة لهذا ظهرت جذور الاستغراب في العقود الاسلامية الأولى –كما مر بنا-[١٥].

وفي الواقع لا يمكن تحديد حقبة تاريخية معينة من التاريخ الاسلامي وعدها تمثل جذور الاستغراب في كتابات المؤرخين العرب والمسلمين، وذلك لأن الاهتمام بالغرب ومتابعة أحواله لم تقتصر على فئة من المؤرخين عاشوا في حقبة معينة انما كان الاهتمام بالغرب مستمراً ومتصلاً سواء في كتابات مؤرخي مختلف القرون وهذا ما سيظهر واضحاً في الشواهد التاريخية التي سترد في متن البحث.

ومن الروايات التاريخية المتوافرة لدينا وتمثل جذوراً للاستغراب في كتابات المؤرخين المسلمين، يمكننا تحديد ثلاثة اتجاهات للاستدلال على جذور الاستغراب، أولها أنه يعود الى عصر الرسالة (١-١١هـ) ممثلاً بالرسائل التي ارسلها رسول الله الى الأمم المجاورة لاسيما الروم (الغرب)[١٦]، وما تلاها من احتكاك عسكري بين المسلمين والروم في معركة مؤتة[١٧]، والاحتكاك العقائدي مع نصارى نجران[١٨]،أما الاتجاه الثاني، فتمثل بظهور حركة الترجمة في أواسط العصر الأموي وازدهاره في العصر العباسي، وما أثمر عنها من اطلاع عدد كبير من المؤرخين على المؤلفات اليونانية المترجمة من لغتها الأصلية (اليونانية والسريانية) الى العربية وأثر ذلك في زيادة معرفتهم بالغرب ودراسة أحوالهم[١٩].

فيما تمثل الاتجاه الثالث في كتابات المؤرخين المسلمين بالازدهار الفكري وتطور التدوين التاريخي في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، اذ صارت كتاباتهم مسرحاً معرفياً مهماً لدراسة الغرب والاطلاع على أحواله[٢٠]. ولعل هذا الاتجاه هو الأقرب للاستدلال على جذور الاستغراب عند المؤرخين المسلمين.

ان أهم ما يميز هذه الحقبة في مجال الاستغراب، أنها شهدت ظهور عدداً من المؤرخين الكبار تجاوزوا في كتاباتهم النطاق الجغرافي والمعرفي للغرب، وأصبح كل ما يخصه محل اهتمامهم، فنشطوا في رحلاتهم نحو الغرب كما فعل الرحالة (ابن فضلان) و(محمد بن موسى المنجم) و(الغرناطي) وغيرهم[٢١]،

وما تركته تلك الرحلات من أثر في اماطة اللثام عن العديد من الجوانب المهمة في الغرب حتى أصبحت في متناول المسلمين بصورة عامة والمؤرخين منهم على وجه الخصوص.

كما أفرزت هذه الحقبة عن ظهور عدد من المؤرخين كان لهم أثراً بارزاً في الكتابة عن الغرب سواء في الجانب الجغرافي والاجتماعي أو الديني والسياسي، أمثال: (اليعقوبي)، و(المسعودي)، و(ابن الفقيه الهمذاني)، و(ابن حوقل)، فتميزت كتاباتهم عن الغرب بالموسوعية وحب الاطلاع وزيادة المعرفة[٢٢] فضلا عن البحث والرحلة والمشاهدة العينية لاستكمال الصورة المعرفية للغرب في كتاباتهم.

ومما تقدم يظهر ان مفهوم الاستغراب في كتابات المؤرخين المسلمين لم يكن وليداً بحدث ما أو حقبة معينة أو رداً على حركة ما انما ظهر وتبلور وارتبط مع طبيعة الشريعة الاسلامية في تعاملها مع الأديان والأمم الأخرى ومنها: (**الغرب**)، وهذا ما سنوضحه في مبحثنا القادم ضمن دراسة الدوافع التي تقف وراء ظهور الاستغراب في كتابات المؤرخين المسلمين.

المبحث الثاني- دوافع الاستغراب في كتابات المؤرخين العرب والمسلمين:

أن ظهور الاستغراب كنمط تاريخي رافق بعض الروايات التي أوردها كبار مؤرخي المسلمين لم يأت لترف فكري او رغبة في تنوع ثقافي مجرد، بل وقفت ورائه جملة من العوامل التي أخذ بعضها طابعاً عقائدياً وقدسياً لأنه أستلهم من روافد الشريعة المقدسة ومداركها ، وهذا ما اسهم بتنوع تلك العوامل الامر الذي فسر لنا طبيعة التنوع المعرفي الذي ميز كتاباتهم عن الغرب، إذ لم تقتصر على الجانب الجغرافي أو الديني فحسب انما كانت متنوعة لتنوع الدوافع وتعدد الأهداف من وراء ذلك.

وكان في مقدمة تلك الدوافع (**الدافع الديني**) المتمثل بالقران الكريم والحديث وما ارتبط به من قضايا أسهمت في نقل صورة عن الغرب سواء كان عند المسلمين بصورة عامة ام عند المؤرخين منهم على وجه الخصوص، فكما هو معروف ورد ذكر للأمم التي سبقت ظهور الاسلام، في آيات كثيرة، وحين تناولها القران الكريم لم تكن الغاية منها تأكيد ذكر اخبار الماضين فقط بنوع من السرد التاريخي، بل كانت الغاية الاساس التأمل في نشاطات تلك الامم وسلوكهم واتباع الجيد منها وتجنب السيئ لذلك لم يقصر القران الكريم ذكر تلك الامم على مجال دون اخر او على ميزة دون اخرى، فذكر لبعض الامم ابداعها العمراني، واخرى إبداعها الاقتصادي، واخرى قوتها العسكرية والامنية، فيما خص قسم منهم بذكر سلوكهم الأخلاقي والاجتماعي العام، الذي كان سبباً في انهيارهم وزوالهم في بعض الاحيان[٢٣].

وأثر ذلك في دفع المسلمين والمؤرخين منهم للاهتمام بهذه الأمم ومنها الغرب، ومتابعة أخبارهم والاطلاع على أحوالهم، فقد أشار القران الكريم بصورة واضحة الى ضرورة الاطلاع على الأمم الأخرى، كقوله تعالى: **{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}**[٢٤]، والاعتبار من قصص الأمم الماضية عن طريق القصص القرآنية[٢٥]؛ لهذا جسد بعض المؤرخين في كتاباتهم هذا المضمون في رواياتهم عن الغرب، فعلى سبيل المثال دفع ذكر أهل الكهف في

القران الكريم[٢٦] العديد من المؤرخين للبحث عن مكانهم والظروف التي أحاطت بهم، مما استوجب الأمر الاهتمام بتاريخ الروم لكونهم اضطهدوا على يد أحد ملوكهم (دقليانوس)[٢٧]، فضلاً عن الاستدلال عن مكانهم الذي أصبح محط اهتمام ومتابعة سواء كان من الخليفة الواثق بالله أو من عدد من المؤرخين[٢٨]، وقد ارتبط كله بالدافع الديني لورود ذكره في القران الكريم[٢٩].

وفي موضع اخر نستدل على أثر هذا الدافع في ظهور الاستغراب لدى العديد من المؤرخين المسلمين من خلال ما ورد في بعض الآيات القرآنية من ذكر للسيد المسيح من حيث ولادته الكريمة وصلبه وما جرى على الديانة المسيحية من تحريف بعد السيد المسيح[٣٠]، إذا مما لا شك فيه ان ايراد القران الكريم لهذه الروايات التي ضمنها تفاصيل مهم، لم يكن لمجرد الاطلاع او الاستئناس بأخبار الماضين، بل كانت بمثابة دعوة مبطنة لدراسة السلوك العام لتلك الامم والشخصيات وتمحيص نتاجاتهم التي خلفوها وامكانية دراستها والافادة منها، لذلك تسابق المؤرخون المسلمون بنقل تلك الآيات وتأويلها وتجذيرها في التراث العالمي والانساني، كما فعل ذلك (اليعقوبي) الذي تطرق الى ذكر الغرب وأحوالهم من خلال حديثه عن السيد المسيح وما جرى عليه من حوادث[٣١]، و(المسعودي) الذي أسهب في ذكر الغرب لاسيما بلاد الروم من خلال السيد المسيح وما نتج عن ذلك من ظهور وانتشار للنصرانية في بلاد الغرب حظيت باهتمام ومتابعة في رواياته[٣٢].

ولم يكن أثر الدافع الديني في ظهور الاستغراب مقتصراً على القران الكريم انما جاء بعده الحديث النبوي الشريف واسهامه في حث المسلمين عامة والعديد من المؤرخين خاصة على معرفة الغرب والاطلاع على أحواله، فقد ورد في بعض الأحاديث النبوية ذكر لمدن معروفة في الغرب مثل القسطنطينية[٣٣]، مما زاد في أهمية الاطلاع على هذه المدينة ومكانتها الدينية والسياسية لدى الروم[٣٤]، وعلينا ان نفهم ان الاحاديث التي وردت على لسان النبي (ﷺ) في ذكر تلك المدن انما اتبعت المنهج القرآني في طرحها من حيث باب الاشارة للتدليل، لاسيما وان الحديث منهجاً واسلوباً ينحني منحى القران الكريم في الهدف والغاية.

ومن الدوافع الأخرى التي أسهمت في ظهور الاستغراب (**الدافع الاجتماعي**) الذي ظهر واضحاً في كتابات العديد من المؤرخين المسلمين عنهم، فطبيعة الحياة الاجتماعية في الغرب واختلاف التقاليد والأعراف الاجتماعية عن المجتمع الاسلامي مثل دافعاً حيوياً لمتابعة الحياة الاجتماعية في الغرب تحت طائلة هذا الدافع، ومن الدلائل في ذلك، الحضور الواسع للتقاليد الاجتماعية في رحلة (ابن فضلان) للأماكن التي زارها من الغرب[٣٥]، وما أكده (السعودي) و(ابن حوقل) من خلال اشارتهما الى أثر البيئة في سكان الغرب وعلاقته بالحياة الاجتماعية وتكيف الانسان هناك مع هذه البيئة[٣٦].

لذا كان هذا الدافع حاضراً في دفع العديد من المؤرخين المسلمين لرصد كل ما تعلق بالحياة الاجتماعية للغرب لكونها تثير الاهتمام، لهذا كان الاختلاف في التقاليد الاجتماعية بين مدن الغرب محط اهتمام العديد من المؤرخين، فعلى سبيل المثال وصف (مسكويه) الروس بأنهم يقتلون كل غريب يفد الى ديارهم[٣٧]، فيما نجد في رواية (ابن فضلان) عن البلغار انهم يكرمون ضيوفهم الغرباء[٣٨]، مع أن كلا الدولتين يقعان في نطاق جغرافي واحد ومتجاورتين الى حد كبير[٣٩].

وكان للدافع العلمي أثر كبير في ظهور الاستغراب في كتابات المؤرخين المسلمين، فمن الطبيعي ان يسهم تطور وازدهار الحركة الفكرية في الدولة العربية الاسلامية في زيادة المعرفة ويشجع الرغبة في مسألة معرفة الغرب والاطلاع على أحواله، ما أثمر عن حركة الترجمة التي نشطت وازدهرت في أواسط القرن الثالث للهجرة، وترجمت العديد من المؤلفات اليونانية الى العربية[٤٠]، وأثر هذه المؤلفات اليونانية في رفد العديد من المؤرخين المسلمين بالمعلومات عن الغرب سواء كان في الجانب الجغرافي أو غيره من الجوانب، ومن الشواهد على ذلك محاولة (المسعودي) و(ابن النديم) على سبيل المثال لا الحصر تبيان أهمية هذا الدافع في معرفة الغرب من خلال عرض نتاجات الفلاسفة اليونانيين أمثال (أرسطا طاليس) و(أفلاطون)، و(سقراط) في معرض حديثهم عن الأوضاع السياسية في الغرب وخاصة في عهد الاسكندر المقدوني (٣٣٦-٣٢٣ ق.م)[٤١].

أما العلاقات السياسية بين الشرق والغرب سواء كانت في مجالها الدبلوماسي أو غيره فقد شكلت دافعاً من دوافع الاستغراب لدى المؤرخين يمكن ان نطلق عليه بـ**(الدافع السياسي)**، إذ أسهم هذا الدافع في نقل أمور عن الغرب مكنت العديد من المؤرخين من الاستفادة منها في زيادة معلومات عن جوانب في الغرب مرتبطة بهذا الدافع ، فعلى سبيل المثال بناءً على طلب ملك البلغار أرسل الخليفة العباسي المقتدر بالله (ابن فضلان) الى هذه البلاد[٤٢]، وما الت اليه هذه الرحلة من مشاهدات قيمة وذكر لأوضاع هذه البلاد وما جاورها من الصقالبة والروس عدت بحق نافذة معرفية مهمة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في هذه الأقسام المهمة من الغرب[٤٣]، لذا اعتمد (ياقوت الحموي) كلياً على هذه الرحلة في وصف وتتبع الكثير من الأماكن[٤٤]، ولنا ان نتصور أنه لو لم ترتبط هذه الرحلة بالخليفة العباسي وملك البلغار وأثر ذلك في حسن استقبال صاحب الرحلة وتسهيل مهمته والسماح له في متابعة أوضاع هذه البلاد تحت رعاية ملكهم الذي سمح له بالتنقل والمشاهدة والتزود بكل ما يريد معرفته هناك[٤٥].

وليس بعيداً عن ذلك، نتلمس صورة أخرى من صور هذا الدافع متمثلة بالأسرى المسلمين لدى الروم، اذ أسهم قسم من هؤلاء الأسرى في نقل صورة عن الغرب بوصفهم شهود عيان في نقل الأخبار حين كانوا أسارى، فشجعت مشاهداتهم العديد من المؤرخين المسلمين للاعتماد عليها كمصدر من مصادر معلوماتهم عن الغرب، لذا اعتمد كل من (المسعودي) و(الاصطخري) على ما ذكره (مسلم بن أبي سلم الجرمي)، من أخبار عن الروم أثناء وقوعه أسيراً بأيديهم[٤٦]. وواقعاً ان هذا الدافع سواء كان ممثلاً بالجانب الدبلوماسي أم بغيره من الجوانب، لا يمكن تجاوز أثره في ظهور الاستغراب لدى المؤرخين ان يعرف المراسيم التي كان يقيمها ملوك الغرب لاستقبال ضيوفهم وكيف يعرفون أماكن هذا الاستقبال وما يتخلله من ممارسات دبلوماسية تثير أذهان المؤرخين للانتباه عليها ومعرفة هذا الجانب من الغرب.

وفي طور البحث والاستدلال على دوافع الاستغراب في كتابات المؤرخين المسلمين لا يخفى أهمية **(الدافع الاقتصادي)**، فالعديد من المؤرخين وجدوا في طبيعة النشاط الاقتصادي والزراعي وما ارتبط في ذلك من علاقات تجارية بين الشرق والغرب أو بين ممالك الغرب ميداناً مهماً لمعرفة الغرب والاطلاع على أحواله من خلال هذا الدافع، ففي مجال النشاط الزراعي في الغرب وضع العديد من المؤرخين المسلمين هذا

النشاط نصب أعينهم ومتابعاتهم للغرب، فاشتهار البلغار والصقالبة بزراعة الحبوب (الحنطة والشعير) دفع المؤرخ (ابن رستة) الى متابعة ذلك ونقل ممارساتهم في الحصاد، كاحتفالاتهم بموسم الحصاد وهتافهم للرب على رزقه لهم في هذا الحصاد[٤٧].

المبحث الثالث- نماذج من استغراب المؤرخين المسلمين:

١- الجانب العسكري:

يبدو أن طبيعة المرحلة العسكرية التي عاشتها الدولة العربية الاسلامية منذ نشأتها حتى سقوطها، دفعت بالمؤرخين الى تولية الجانب العسكري ودراسته عن أمم الغرب أهمية خاصة، فمن دون شك هو اكثر الجوانب التي نقلت روايات عنها وفيها في كتب المؤرخين المسلمين، لاسيما في المدة التاريخية التي غلب عليها ما يعرف بالحروب الصليبية والتي كانت من دون شك أحد اهم العوامل التي دفعت بهم لتوليه هذا الجانب اهتمام كبير والكتابة عنه ، لذلك باتت دراسة التراث التاريخي المتعلق بالحروب الصليبية أحد اهم الطرق والوسائل التي يمكن لنا أن نستدل من خلالها على العديد من نماذج استغراب المؤرخين المسلمين سواء اكان في مجال الأساليب العسكرية للفرنج أم التدابير والأسلحة وغيرها من المسائل العسكرية، فهذه الحروب مع تداعياتها السياسية على المسلمين، الا ان ذلك لم يمنع من ان تكون نافذة مكنت العديد من المؤرخين من الاطلاع على طبيعة النظام العسكري للإفرنج من باب المعرفة والاطلاع.

وعلى الرغم مما شعر به أغلب المؤرخون المسلمون من بغض وحقد تجاه الغرب، الا انهم في مواطن عدة لم ينكروا لهم تقدمهم الحربي ونجاحاتهم وخصالهم العسكرية، فعبر كثير منهم عن اعجابهم بأساليبهم العسكرية وخططهم، وربما كان لذكرها عند بعضهم دعوة من بعيد للإفادة منها، ولم يكتفوا عند هذا الحد فحسب بل دونوا بإعجاب أيضاً عاداتهم الحربية، فذكر (ابن الأثير) أن من عادات الفرنج في حروبهم إقامة خنادق حول المدن المحاصرة لمنع زحف المسلمين نحوهم[٤٨]، فضلاً عن التشاور في الحرب ومناقشة ظروفها قبل تنفيذ أي خطة عسكرية، إذ كان القائد لا يقدم أمراً أو يؤخره إلا بمشورة أهل الخبرة والتجربة في الشؤون العسكرية[٤٩].

وفي المجال العسكري أيضاً درس المؤرخون المسلمون صناعة الأبراج الحربية التي برع الصليبيون في صناعتها، وذكروا أحجامها من ناحية الطول والعرض والعلو، فحدد (ابن القلانسي) طول إحدى الأبراج بأربعين ذراعاً، بينما بلغ آخر خمسين، في حين بلغ طول برج ما يوازي سور مدينة معرة النعمان[٥٠]، وقدم (ابن الأثير) وصفاً أكثر دقة عن الأبراج التي هاجم بها الصليبيون مدينة عكا سنة (٥٧٨ هـ)، فذكر أن طولها العلوي بلغ ستين ذراعاً، وأن كل برج كان يحتوي على خمس طبقات تملأ كل واحدة منها بالمقاتلة وتغشى بالجلود والخل والطين والأدوية التي تمنع النار من إحراقها[٥١]، ولم يكن هذا التفوق في مجال صناعة الأسلحة سوى انعكاس أمين لمجتمع حربي شكلت الحروب مصادره الأساسية، كما لفت انتباههم نظام الفروسية الذي كان عماد الحياة الأوروبية في العصور الوسطى، فتناولوها بالبحث والدراسة ووثقوا أخباراً هامة عنها، دل على ذلك ما ذكره (ابن منقذ) ونصه: **"لا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية إلا للفرسان، ولا عندهم ناس إلاّ الفرسان"**[٥٢].

وتطرقوا كذلك في الجانب العسكري الى دور المرأة في هذا المجال، فذكر (ابن الأثير) في سياق الأحداث التي أعقبت سقوط القدس بيد المسلمين أن الصليبيين حشدوا الحشود وجنّدوا أنفسهم، وكان من ضمنهم النساء الإفرنجيات اللواتي **"بارزن الأقران"**[٥٣]، وذكر في موضع آخر أنه كان من جملة الأسرى الذين أسرهم المسلمون ثلاث نسوة كنّ يقاتلن في زي الرجال، ولم يعرفن إلا بعد أسرهن وتجريدهن من السلاح[٥٤].

وخصص (الأصفهاني) حيزاً مهماً من كتاباته عن النساء الإفرنجيات وأكد أنهن كان يقتدين بالفرسان، فلا يرتدين إلا السوابغ أثناء الحروب، أما العجائز من النساء، فكنّ يحرضن المقاتلين، ولا يدعن فرصة ليجد الاستسلام مكاناً في نفوسهم، بل كنّ يعتبرن المشاركة في القتال عبادة، وهو ما عبّر عنه بقوله: **"وفي الفرنج نساء فوارس، لهن دروع وقوانس ويبرزن في حومة القتال، وكل هذا يعتقدنه عبادة"**[٥٥]، ولعل جل هذه القرائن تعكس بالملموس الدور الرائد الذي اضطلعت به المرأة الإفرنجية في المجال العسكري داخل كيان اجتماعي شكلت الحرب حجر الزاوية فيه.

٢- الجانب الاجتماعي:

مثلت الحياة الاجتماعية في الغرب ميداناً خصباً للعديد من المؤرخين المسلمين من الذين أظهروا في كتاباتهم عن الغرب اهتماماً كبيراً في هذا الجانب، وقدموا نماذج بينوا من خلالها مدى اعجابهم ومتابعتهم لهذا الجانب من الغرب.

ففي مجال ملابس الغرب، وصف (ابن رسته) ملابس الصقالبة بأنها كانت ذات أردن ضيقة، ومن عادة البلغار لبس القلانس فوق رؤوسهم[٥٦]، ووصف (ابن شداد) لباس امرأة محاربة، فذكر أنها كانت تلبس ملوطة خضراء[٥٧]، كما وصف (المقريزي) في المجال نفسه الزي الذي لبسه ملك فرنسا لويس التاسع أثناء حملته على مصر، وهو عبارة عن غفارة بها أشكرلاط أحمر بفرو سنجاب فيها بكلة ذهب[٥٨].

ونوه (ابن الأثير) بالصدد نفسه الى ما دل على ان الافرنج الصليبين يرتدون السواد في المآتم[٥٩]، وركز بعضهم على قضايا دقيقة في هذا الجانب، فقد أشار (البكري) الى ان الفرنج كانوا يحلقون لحاهم[٦٠]، وأكد (ابن شداد) ذلك بإشارته الى ان المسلمين كانوا يحلقون لحاهم في بعض الحملات العسكرية ضد الصليبيين لتمويههم حتى يظهروا كالإفرنج تماماً[٦١].

وبحسب كتابات المؤرخين المسلمين نستشف أيضاً في مجال ملابس الغرب أنه لم تكن من عادة الصليبيين ارتداء المئزر عند دخولهم الحمامات العمومية، بل كانوا يدخلون عراة[٦٢]، غير أنه إذا جردنا هذه الرواية من طابع الإسفاف والمبالغة، فإن الأمر الأكيد الذي نستخلصه هو قلة غيرة الأزواج على زوجاتهم في المجتمع الصليبي بالشام، وهذه عادة ما زلنا نلاحظها حتى الوقت الراهن، مقارنة مع المجتمع العربي ذي الطابع الرجولي الذي تشكل فيه الغيرة على النساء أحد المكونات الأساسية للشخصية العربية الإسلامية.

ولم يقتصر اهتمام المؤرخين المسلمين في هذا الجانب على الألبسة في بلاد الغرب، انما شملت الأطعمة والأثاث، وقدموا معلومات –على قلتها- كانت في غاية الأهمية، ومن ذلك ما ذكره (ابن منقذ) في رواية أسندها

إلى أحد أصدقائه ذكر فيها عنه أنه جلس إلى مائدة إفرنجي وعليها طعام **"في غاية النظافة والجودة"**[٦٣]. وهي عبارة يفهم منها اهتمام فئة من الإفرنجة على الأقل بأمور التغذية وما تستلزم من أمور صحية كالنظافة والعناية بالجودة، لكننا نميل إلى الاعتقاد بأن هذا الوصف لا يشمل المجتمع الصليبي برمته، ويحتمل أن يشكل استثناء، بدليل ما عكسته تتمة الرواية من استثناء آخر في مجال الأطعمة الإفرنجية، وهي أن الصديق الذي زاره صاحب الرواية لم يكن يتناول لحم الخنزير، علماً أن أكل الخنزير يعد ظاهرة عامة لدى الصليبيين، وكشفت هذه الرواية ضوءً آخراً على تشغيل الإفرنج لطباخات مصريات، إذ أن الشخص الذي أشار إليه النص كان لا يشغل إلا هذا النوع من الطباخات لطهي ما يتناوله من أطعمة[٦٤].

وبين (ابن الأثير) أنواع الأثاث الذي استعمله الصليبيون داخل بيوتهم في مدينة القدس، فإبان خروجهم من هذه المدينة بعد تحريرها من طرف صلاح الدين الأيوبي، حملوا معهم ما خف حمله، وتركوا الأثاث الذي لم يستطيعوا بيعه مثل الأسرّة والصناديق والأواني والرخام من الأساطين والألواح والفص[٦٥]. وأشار(الأصفهاني) الى أن الكنائس كانت تزين بالأواني الذهبية والفضية والقناديل والأستار والمناديل الحريرية، وجرت العادة أن يجعل الصليبيون بعض الصفائح من الذهب ومصوغات العسجد على بعض القبور[٦٦]، مما دل على أن روح الفن والتجميل كانت شائعة لدى المجتمع الإفرنجي.

وشملت اهتمامات المؤرخين المسلمين في مجال الحياة الاجتماعية للغرب، (**اللغة المتداولة بين الصليبيين**) بالشام، لكن نصيبها كان أقل من المجالات الباقية، وبروايات غير مباشرة، مثل رواية (ابن منقذ) التي أشار بها الى أن امرأة إفرنجية لقيته في السوق، فصرخت في وجهه **"وهي تبربر بلسانهم"** دون أن يستطيع فهم ما تقوله[٦٧]. ويفهم منها أن التأثير اللغوي بين الجانبين ظل ضعيفاً، ومما يعزز صحة استنتاجنا هذا أن الأمراء المسلمين أنفسهم اضطروا دائماً إلى استقدام مترجمين لاستيعاب اللغة الإفرنجية التي ينطقها المبعوثون أو الأمراء الإفرنج أنفسهم، بل حتى الأسرى[٦٨].

وشملت اهتماماتهم أيضاً (**المرأة الإفرنجية**)، فوثقوا أخباراً متنوعة عنها في كتبهم، لكن ما يؤخذ عليهم عدم تخصيص مواضيع مستقلة عنها، بل جاءت صورتها ضمن السياق العام للأحداث، وقد يفسر ذلك بقلة عدد النساء الإفرنجيات اللائي أقمن في بلاد الشام بسبب أن معظم الذين قصدوها كانوا من فئة الرجال المقاتلين كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين[٦٩]. لكن من غير المستبعد أن يكون عددهم قد ارتفع مع مرور الزمن، ومهما كان الأمر، فانهم أجمعوا على سموا مكانة المرأة الإفرنجية داخل مجتمعها، وذكروا مختلف الأدوار التي اضطلعت بها في الحياة السياسية والعسكرية، وأول ما لفت انتباههم الحرية التي تنعم بها المرأة الإفرنجية، لاسيما في مجال الحياة الجنسية، إذا صدقنا رواية طريفة أوردها المؤرخ (ابن منقذ) أنه لم يكن غريباً أن تلتقي المرأة الإفرنجية برجل آخر وتنفرد به للتحدث معه وزوجها ينتظرها؛ وإذا ما أطالت في الحديث، تركها مع (صديقها) ومضى إلى حال سبيله![٧٠].

ولا ندري في أي مستوى من درجات المصداقية يمكن أن توضع مثل هذه الروايات حول الإباحية الجسدية، علماً أن (ابن منقذ) رواها من موقع المشاهد اللصيق بالحدث، لكن يبدو مع ذلك أنها لم تسلم من أغلال الإسفاف والشطط، وإذا سلمنا بصحتها، فإنها لا تعدو أن تكون استثناء كان وراء حرص هذا المؤرخ على سردها

لإثارة القارئ وتشويقه، بيد أن ما يستنتجه الباحث من هذه الرواية بعيداً عن عنصر الغرابة فيها، يتجلى في الاختلاط الذي كما يقع بين المسلمين والصليبيين، مما يدحض فكرة انعدام التعايش بين الجانبين.

وأما صورة المرأة الفرنجية فقد وصفتها الكتابات التاريخية الإسلامية بأنها كانت متحررة إلى حد الميوعة، وقد يكون ذلك قياساً على قيم المجتمع الإسلامي وعاداته، وهذا ما عبر عنه (الأصفهاني) صراحة بقوله: كانت المرأة الفرنجية **"عجراء هيفاء غناء لفاء... تسحر بنظراتها نظارها، وتنثني كأنها غصن"**[٧١].

وعلى الرغم من هذه الأوصاف وغيرها، التي تحط من قيمة المرأة الإفرنجية على مستوى المرجعية المجتمعية والدينية في المنظور العربي، أمدتنا الكتابات التاريخية العربية بنصوص عكست المكانة المتألقة التي بلغتها بعض النساء الإفرنجيات داخل المجتمع الصليبي بالشام، ونسوق في هذا الصدد أخبار ملكة وصفت بأنها **"امرأة كبيرة القدر وافرة الوفر وهي في بلدها مالكة الأمر"**، قدمت في مركب يصحبه خمسمائة فارس بحاشيتهم وخيولهم، وكان لها من الأموال ما يكفي للإنفاق على هؤلاء الأتباع الذين كانوا طوع يدها لا يقدمون شيئاً ولا يؤخرونه إلا بأمرها[٧٢].

بيد أنه على الرغم من هذه الحرية التي تمتعت بها المرأة الإفرنجية والمكانة المتألقة التي حازتها في هرمية المجتمع، فإن حرية زواجها لم تكن بيدها، وهو ما نستشفه من رواية رغبة تزويج الملك ريتشارد قلب الأسد للملك العادل، اذ لقي معارضة لأنه وضع أخته تحت يد مسلم دون مشاورة البابا! [٧٣]. وعلى الرغم من أن هذا المنع اتخذ مرجعية دينية ـ سياسية، اذ لم يمانع الملك الإنكليزي في تزويج ابنة أخته بدل أخته، فإن هذه السلوكيات عكست مدى إمكان تطبيق مثل هذه القرارات على المرأة دون الرجل، وتعويض امرأة بأخرى وكأنها مجرد سلعة تستبدل حسب رغبة الرجل أو ذوي النفوذ الديني وأصحاب القرارات، وعلى العموم، فالقاعدة السائدة لدى الإفرنج أن المرأة الثيب تتزوج بإذن البابا، بينما المرأة البكر يزوجها أهلها، وفي كلتا الحالتين، لا نلمس موقعاً لحرية الزواج لدى المرأة الإفرنجية.

وفي رواية ثانية ذكرها (الأصفهاني) أن ريتشارد قلب الأسد ولى ابن أخته الكونت هنري مدينة صور بدل المركيس الذي ترك زوجته، فتزوجها هنري وهي حامل، مما أثار استغراب المؤرخ العربي الذي تساءل بنوع من الحيرة كيف أن الحمل لم يحل دون زواجها؟[٧٤]. ومن ناحية أخرى، تفرد (ابن منقذ) بذكر خبر طريف يهم فضاء النساء الإفرنجيات وإيجابياتهم، وهو أن امرأة عجوزاً ساهمت على الرغم من كبر سنها في سباق نظمه الصليبيون بالشام ضمن الألعاب التي اعتادوا تنظيمها[٧٥].

٣- الجانب الديني والروحي:

لم يغفل المؤرخون المسلمون توثيق أخبار **(النواحي الدينية والروحية)** للغرب، فقد أفصحوا عن أهمية البابا في المجتمع الأوروبي، وعدوه خليفة للسيد المسيح على الأرض، وبمثابة **"الإمام الذي للمسلمين"** [٧٦]، وهو صاحب الحل والعقد والمؤهل لتحريم ما يراه حراماً وتحليل ما يراه حلالاً، أما وظيفته السياسية، فتتمثل في أنه المسؤول عن تنصيب الأمراء في الحكم، ووضع التاج على رؤوسهم، وحل النزاعات التي تشجر بينهم[٧٧]، كما كان له كامل الحق في إدانة وتجريم كل صليبي ثبت أنه تعاون مع المسلمين[٧٨].

على أن ذلك لم يكن قاعدة مطلقة، بل هناك استثناءات كشفتها نصوص عربية أخرى تمثلت بعدم راحة بعض الأمراء الصليبيين للبابا وسلطته الدينية، على اعتبار أنه من غير المنطقي أن يكون البابا، وهو على رأس قمة السلطة الدينية، دون نسب ولا قرابة مع السيد المسيح، وقد أخذت هذه الانتقادات وجاهتها من خلال مقارنة بعض أمراء الإفرنج بين البابا الذي لا يستند إلى أي أصل أو نسب ديني، وبين الخلفاء المسلمين الذين ارتبط معظمهم بصلة قرابة مع النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)، بيد أن هذه الانتقادات كانت تجلب عليهم نقمة البابا وغضبه، فكان بعضهم أحياناً يتعرضون للقتل ثمناً لتجرئهم عليه[٧٩].

وعلى الرغم من سوداوية هذه الصورة من الناحية الرسمية، فإن المؤرخين المسلمين تناولوا بعض الجوانب المضيئة في الحياة الدينية داخل المجتمع الصليبي بالشام، فكشفوا عن حياة الزهد والعبادة التي لم تنعدم في نفوس بعض الشرائح الاجتماعية. ويمكن الاستشهاد في هذا الصدد بالمؤرخ (ابن منقذ) فعندما زار قرية تدعى (سبسطي)[٨٠]، شاهد بالعيان أمام قبر النبي يحيى بن زكريا (عليه السلام) كنيسة قبع فيها عشرة شيوخ رؤوسهم مكشوفة، وهم مستقبلون جهة المشرق للتعبد والتبتل. وقد بهره هذا المنظر وترك فيه وقعاً مؤثراً عبّر عنه بأنه **"يرق له القلب"**[٨١]، وهو نص عكس حياة الزهد التي سادت المجتمع الصليبي خلال العصر الوسيط، كما أشارت نصوص أخرى إلى اعتناق بعض الصليبيين الديانة الإسلامية، ومنها ما ذكره (ابن منقذ) بأنه كان في جملة أسرى إحدى الحملات العسكرية امرأة إفرنجية عجوز ومعها ابنة شابة حسنة الخلق لها ابن اعتنق الإسلام[٨٢].

٤- الجانب القضائي:

من المجالات الأخرى التي ركز على دراستها المؤرخين المسلمين في الغرب، **(النظام القضائي)**، وكانت لهم رؤية ايجابية بصدده، عبر عنها (ابن منقذ) بقوله: أنهم **"أصحاب الرأي وأصحاب القضاء والحكم"** [٨٣]، ووصف جهازهم القضائي بالنزاهة والاستقلال التام عن السلطة التنفيذية، لأنه اذا صدر حكم لا يستطيع أي شخص مهما كانت حجم مسؤوليته في الدولة ووجاهته في المجتمع من نقضه أو عدم تنفيذه[٨٤]، لكن على الرغم من هذه الرؤية الايجابية للنظام القضائي عند الاخر، الا أنه لم نجد من المؤرخين من دعا الى تطبيقه أو التمسك به، ولعل مرد ذلك هو وجود قضاء شرعي تتبناه مؤسسة الخلافة التي كانت قائمة آنذاك، فضلاً عن عدم مقبولية الاقتباس من الغرب.

٥- الجانب العلمي:

شملت اهتماماتهم **(التطور العلمي لدى الإفرنجة)**، إذ قدموا في هذا الصدد ما عكس نبوغهم الفكري، وقد تحدث عن ذلك المؤرخ (ابن واصل) في مواضع عديدة[٨٥]؛ وتأتي أهمية شهادته من كونه شاهد عيان، اذ كان مبعوثاً من طرف الملك الظاهر ركن الدين بيبرس إلى ابن الإمبراطور فريديريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة، ومما سجله عن هذا الإمبراطور أنه كان فاضلاً محباً للحكمة والمنطق، ومتمكناً من علم الطب، ووصفه في موضع آخر بأنه شغوف بالعلوم العقلية؛ ولا غرو، فقد كان **"يحفظ عشر مقالات من كتاب أوقليديس في الهندسة"**[٨٦]، وبلغ من تعلق هذا الإمبراطور بالعلم والمعرفة أنه كان لا يتردد في إجراء حوارات علمية عن طريق المراسلات؛ وحسبنا أنه بعث إلى الملك الكامل مسائل حكمية وهندسية ورياضية معقدة ليختبر بها قدرة العلماء المسلمين الموجودين في بلاطه، فنجح هؤلاء في حلّ كل المسائل التي طرحها على أنظارهم[٨٧].

٦- الجانب الاقتصادي:

يعد الجانب الاقتصادي أحد الجوانب التي يمكن من خلالها تحديد مدى استغراب المؤرخين واهتمامهم بالغرب، فقد كانت طبيعة الحياة الاقتصادية في الغرب سواء كانت ممثلة بشكلها الزراعي او التجاري محط رد ومتابعة من المؤرخين المسلمين.

ففي رواية (ابن رسته) بين ان ما تشتهر به بلاد البلغار من زراعة الحبوب لقوله: **"... هم قوم لهم زرع وحراثة، يزرعون كل الحبوب من الحنطة والشعير والدخن وغير ذلك..."**(٨٨)، وعن زراعة الصقالبة قال: **"... أكثر زروعهم الدخن"**(٨٩)، وفي موضع اخر وصف (البكري) بلاد الفرنج بأنها كثيرة الفاكهة(٩٠). ووصف في موضع اخر (ابن فضلان) اهتمام الصقالبة بالزراعة بأنهم يميلون الى زراعة التفاح الأخضر ويعدونه من النباتات المفضلة لديهم لاسيما اذا كان شديد الحموضة، واشتهروا كذلك بزراعة البندق(٩١).

ومثلت التجارة بوصفها جزءاً من الحياة الاقتصادية للغرب احدى صور اهتمام المؤرخين المسلمين بالغرب، وذكر (المسعودي) في هذا الصدد أن بلاد البرطاس اشتهرت بتصدير جلود الثعالب السود، واقتصر لبسها على الملوك فقط لندرتها وغلاء ثمنها(٩٢)، وبالمجال نفسه أشار (ابن الفقيه الهمذاني) الى أن تجار الفرنج كانوا يحملون الديباج والخز الى مصر وبلاد الصين لغرض التجارة(٩٣).

المبحث الرابع- ابن خلدون والاستغراب:

في القرن التاسع الهجري أخذت دراسة الاخر تتحول الى دراسة عملية أكثر منها دراسة اخبارية على يد العلامة (ابن خلدون) الذي مثل أنموذجاً اسلامياً متقدماً في دراسة الغرب بحسب رؤية ومنهج علمي له ثوابت وأصول معرفية معينة، استند فيها الى نظريته الاجتماعية التي اعتمد فيها على فكرة تطور الحضارات بوصفها تطور للتاريخ البشري نفسه، أو كما عبر عنه بـ**(العمران البشري)**(٩٤)، واذا كان تطور الحضارات في رأيه يجعل منها متممة إحداها للأخرى، فان فكرة الاجتماع الإنساني في نهاية المطاف ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، حتى ذهب إلى حد التحذير من ضرورة السهو والغفلة عن ذلك، فقال: **"من الغلط الخفيّ في التاريخ الذهول عن تبدّل الأحوال في الأمم و الأجيال... لا يتفطّن له إلاّ الآحاد من أهل الخليقة"** (٩٥). ومن أجل ذلك عمل على إثبات فكرة تطوّر الحضارات ودافع عن نظرية التطور الكوني الكامل بناءً على تراكم تجارب المجتمعات المختلفة.

ولعل من أروع ما اكد عليه (ابن خلدون) أن التراث الثقافي للأمم السالفة لا يزول بزوالها أو يقف عند حدودها، فيمكن ان يفاد منه من قبل الأمم التي تنشأ أما على أطلالها، أو بعيداً عنها، وهو ما أشار اليه صراحة بقوله: أنّ **"أهل الدول...يقلّدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم"**(٩٦)، وفي هذا الإطار أقرّ بإفادة العرب من الموروث الحضاري الفارسي والبيزنطي، بل أنهم أبدعوا في تطويره حتّى أنهم **"أتوا من ذلك وراء الغاية"**(٩٧).

وعليه فان (ابن خلدون) لم ينظر إلى (الآخر) من المنطلق الذي انطلق منه أقرانه، بل وجد فيه مورداً ومصدراً للتبادل الحضاري، لهذا وثق أخبار الشعوب والأمم الأخرى في كتابه (العبر)، على الرغم

من انه خصصه لتاريخ العرب والبربر في بلاد المغرب، وفي ذلك دليل قوي على التوجه الإسلامي لدراسة الآخر (الغرب)، في تلك المرحلة من تاريخهم، ويمكن اعتبار ما أورده تتويجاً لذلك، فيكفي تتبّع ما ورد في كتبه لإثبات عنايته بالآخر، فحين تحدث عن الآخر وهو هنا (**اليونان**)، تحدث بروحية منفتحة متقبلة للآخر، بل ومادحاً له، فهم –بحسب تعبيره- **"من أعظم أمم العالم و أوسعهم مُلكا وسلطانا**[٩٨]. وأسهب في حديثه عن الرومان، فدرسهم منذ نشأتهم حتى تاريخ آخر قياصرتهم، معتبراً (**اللطينيّين**) مؤسّسي روما ومن **"أشهر أمم العالم"**[٩٩].

وبلغت رغبته في دراسة الآخر والتعرف عليه، ان تناول جوانب متعددة من حياته، بما في ذلك ديانته، ففصل في المسيحية ديانة **"الصقالبة والفرنجة"**، وكأنه من أهلها فكان على دراية تامة بمذاهبها[١٠٠]، واستعرض مراحل نشأتها المختلفة[١٠١]، وتطوّرها بدْءً باضطهاد القياصرة لمعتنقيها[١٠٢]، إلى تحوّلها ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور **"قسطنطين"**[١٠٣].

وعلى الرغم من ان الزمن الذي عاش فيه وقتاً للصراع مع الآخر (**الأوربي**)، مما ترك أثره على الكتابات عنه، فكانت نتاجات ذلك العصر سلبية، ومع ذلك فانه لم يتأثر بأقرانه في كتاباتهم ولم يتبع منهجهم أو رؤيتهم للأوربيين، بل خط لنفسه رؤية خاصة منفتحة، فكتب عنهم بحيادية، بل لمح من بعيد بإيجابية عالية لانتصارهم لا من باب التأييد بل من باب تشخيص عوامل انتصارهم، مشيراً إلى ان تنامي قوة (الفرنجة) لم تكنْ بمحض الصدفة وإنّما كانت لـ**"ضعف ملك العرب"** وكثرة الصنائع التي هي دليل على عراقة العمران، وهو ما أشار اليه صراحة بقوله: **"وأمم النصرانية عُدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها (الصنائع) لأنهم أعرق في العمران الحضري و أبعدُ عن البدو وعمرانه"**[١٠٤].

كما خلُص إلى أن الأمم التي لها تقليد قديم في الحضارة، ومنها الأمم الأوروبية النصرانية، تكون أكثر قابلية للعمران، لهذا نلحظ خلو قاموسه الوصفيّ للآخر من عبارات الشتيمة واللعنة، ولغة الحطّ التي ميزت الكثير من النصوص القريبة للحقبة الصليبية، ولا نلحظ في أدبياته فكرة أفضلية العالم الإسلامي في موازنته مع أوروبا المسيحية، وفي المنحى ذاته تباينت صورة الآخر الأوروبي لديه عمّا كان عند غيره من المؤرخين الذين تأثروا في نظرتهم للغرب الأوربي بمخلفات الحروب الصليبية.

لقد تبلورت نظرته الحيادية هذه للغرب بأثر رؤيته للتاريخ التي تمثلت بقوله: أنه **"نظر وتحقيق وتعليل للكائنات"**، وآلياته في ذلك **"البصيرة...والعلم"**[١٠٥]، وإلاّ تحوّل إلى جملة من **"المزلاّت والمغالط"**[١٠٦]، وهو تصوّر انماز به عن أقرانه من المؤرخين السابقين، أمثال: (الطبري ت:٣١٠هـ) الذي صرح بأنّ هدفه من تاريخه لا يتجاوز سرد **"أخبار الملوك الماضين وجُمل من أخبارهم"**[١٠٧]، و(المسعودي ت:٣٤٦هـ) الذي أقرّ صراحة أنّ غايته من التاريخ هي: **"....محبة احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء... وأن يبقى للعالم ذكراً محموداً وعلماً منظوماً عتيداً..."**[١٠٨]، وكذلك عن معاصريه من المؤرخين، كـ(ابن إياس ت:٩٣٠هـ) الذي برّر تأليفه لكتاب (**بدائع الزهور**) بإيراده **"... فيه فوائد سنيّة، وغرائب مستعذبة مرضية، تصلح لمسامرة الجليس وتكون للمنفرد كالأنيس"**[١٠٩].

الخاتمة- (الاستنتاجات والتوصيات):

مما لاشك فيه ان البحث أثبت بالدليل ان الاستغراب لم يكن يوما باب من ابواب الترف الفكري والثقافي كما راق للبعض تسميته، بل هو حاجة تحولت الى علم قائم بحد ذاته له منهجه ومبادئه ونظرياته، وتلك الحاجة بدروها لم تتأتى من فراغ او في زمن متأخر، بل هي حجة توادت مع ولادة الدولة العربية الاسلامية على الاقل على قدر تعلق الامر بالتاريخ الاسلامي، فمنذ اليوم الاول لنشوء تلك الدولة برزت الحاجة فيها لدراسة نظيراتها الاقدم منها التي كانت قائمة ومزدهرة يوم ذاك كدول الروم والبيزنطيين وغيرهم، اذا ان التعرف على طبيعة تلك الامم ومقوماتها وطبيعة مجتمعاتها يسمح للدولة العربية الاسلامية من الاستمرار والتطور، لذلك قلنا دراسة الغرب لم تكن وليدة اليوم، بل موغلة في التراث العربي والإسلامي،

ومع ان تلك الدراسة ظهرت جلية كفكرة ومفهوم في الكثير من كتابات المؤرخين العرب والمسلمين غير انها لم تأت وفق سياق واسلوب ناضج تاريخياً بحيث يمكن للقارئ البسيط وغير المختص ان يميزها عن غيرها بسهولة، بل جاءت وفق سياقات المنهجية التاريخية العامة التي كانت متبعة من قبل اغلب مؤرخينا العرب والمسلمين ما جلع تميزها وفهمه ابعادها حكراً على الباحث المتمرس المختص.

تقودنا تلك الافكار الى استنتاج مهمة للغاية هو ان الاستغراب الذي ظهرت ملامحه في كتابات المؤرخين العرب والمسلمين لم يكن رد فعل آني على حركة استشراقية كما اعتقد البعض خطأ، انما نشطت وتبلورة جذوره ضمن سعي الكثير من المؤرخين المسلمين للاطلاع على حضارة الغرب وتاريخه واستكمال الصورة المعرفية عن الغرب سواء كان في المجال الجغرافي او الاجتماعي او السياسي او الديني او غيرها من الجوانب، والتي انقسمت من حيث رؤية الباحثين لها الى قسمين كلاً بحسب موقفه من الغرب، مثل الأول رؤية سلبية جاءت متأثرة بتداعيات الغزو الصليبي للعالم الاسلامي، لهذا اكتنف البعض من الكتابات صبغة انتقامية أكثر منها دراسة تاريخية علمية، فيما مثل القسم الاخر من المؤرخين المسلمين نوعاً من الحيادية المسندة للبحث والمعرفة وحب الاطلاع على الغرب وتجاوزوا النظرة السلبية في ذلك. ومهما اختلفت النظرة سلباً او ايجاباً يبقى التواصل الحضاري هو السمة المميزة في دفع المؤرخين العرب والمسلمين للاهتمام بدراسة الغرب ومتابعة أحواله.

ان متابعة الاستغراب ودوافعه في كتابات المؤرخين العرب والمسلمين تدفعنا الى رفع التوصيات الاتية:

١- أعادة قراءة ما كتبه او نقله المؤرخون الاوائل عن الغرب وفقا للمبادئ العامة لعلم الاستغراب، لفرز ما نقل او كتب ودراسته ضمن المفاهيم الحديث لمعنى الاستغراب.

٢- الدعوة الى ترجمة كل ما كتب في الغرب عن معنى الاستغراب كما حدث مع الاستشراق ليتمكن الباحث من معرفة الكيفية التي ينظر بها الغربيون لمنهج المسلمين في دراسة علم الاستغراب لخلق حلقة معرفية تكاملية والوقوف على مفهوم الاستغراب من وجهة نظر الغربيين

٣- تقديم الدراسات التي تؤدي إلى تحسين وتوضيح ضرورة دراسة الآخر بما يقود إلى خلق الرغبة لدى الباحثين والمختصين لدراسة الآخر والتمعن فيه لبلوغ الذات.

٤- الشروع بإنشاء مراكز مختصة بدراسة الاخر لتعميق مفهوم الاستغراب، لا على أساس ضد نوعي تجاه الاستشراق، بل على أساس اعتبار احدهما مكملاً للآخر.

٥- عرض التراث العربي والإسلامي الذي تناول الآخر جزء أو كلا إلى العلن بما يؤدي للقضاء على فكرة حداثة دراسة الأخر وتجريمها.

٦- إدخال تدريس علم الاستغراب في المناهج الدراسية لاسيما في المراحل الأولى من التعليم، لخلق ذهنية منفتحة تجاه الأخر وتقبل التواصل معه مستقبلاً.

٧- رسم وتحديث الأطر العلمية والتاريخية التي يمكن من خلالها دراسة الآخر دون الانسياق وراءه كحالة من التبيعة بمختلف أنواعها وإشكالها.

٨- عدم فهم ما قدمه التراث العرب والإسلامي عن الأخر بصورته السلبية دون قياسه بزمان ومكان كتابته.

٩- نوصي بإعداد دراسة شاملة لكل الاتجاهات العلمية والاجتماعية والاقتصادية، وأن يدرس وضوع الاستغراب برسالة ماجستير أو اطروحة دكتوراه أو سلسلة من الدراسات الأكاديمية سواء كان في كتابات المؤرخين المسلمين أو عند الفقهاء المسلمين وغير ذلك من الشرائح الاجتماعية.

هوامش البحث

(١) مما تجدر الاشارة اليه ان المعنى اللغوي للفظة الاستغراب يختلف تماماً عن معناه الاصطلاحي، فكلمة (الاستغراب) في اللغة مأخوذة من كلمة (غرب)، وكلمة غرب تعني أصلا غروب الشمس، ويقال ستغرب في الضحك وأغرب إذا أكثر منه، ابن منظور، لسان العرب، ج٢/ ص٩٦٧.

(٢) سورة الحجرات: اية ١٣ .

(٣) حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص٧٧٣؛ النملة، الاستغراب، المنهج في فهمنا الغرب، ص١٥ .

(٤) حنفي، المرجع نفسه، ص٢٩ .

(٥) المرجع نفسه، ص٢٩- ص٣٠ .

(٦) المرجع نفسه، ص٢٩ .

(٧) الاستغراب، ص١٥- ص١٦ .

(٨) من نقد الاستشراق، ص٢٩٥ .

(٩) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص ٣٧.

(١٠) المقصود بـ(التغريب) عملية الاقبال على الغرب نقبل من خلالها مؤسسات الغرب وعلاقاته وقيمه.

(١١) المقصود بـ(الميل نحو التحديث) هو ميل فكري أو طريقة تفكير معينة تميل الى القبول بكل ما هو غربي ونكره كل ما هو تقليدي وشرقي. النقوي، الاتجاه الغربي من منظار اجتماعي، ص١٥ .

(١٢) مقدمة في علم الاستغراب، ص٤١ .

(١٣) المرجع نفسه، ص٤٢ .

(١٤) مسلم، صحيح مسلم، ج٨/ ص١٧٦؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ج١/ ص٧٣ .

(١٥) حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص٢٩؛ النملة، الاستشراق والدراسات الاسلامية، ص١٤١ .

(١٦) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ ص٧٧ .

(١٧) الطبري، تاريخ، ج٢/ ص٣١٨ .

(١٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/ ص٤٢١ وما بعدها .

(١٩) ابن النديم، الفهرست، ص٣٤٢ .

(٢٠) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢/ ص٤١ وما بعدها .

(٢١) كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٢٠٢- ص٢٠٣ .

(٢٢) ينظر على الترتيب: تاريخ اليعقوبي، التنبيه والاشراف، البلدان، صورة الأرض.

(٢٣) سورة الحجرات: اية ١١٣؛ سورة النحل: اية ٦٩؛ سورة الروم: اية ٤٢؛ سورة فاطر: اية ٤٤ .

(٢٤) سورة الروم: اية ٩ .

(٢٥) البلخي، البدء والتاريخ، ج٣/ ص١٢٧ .

(٢٦) سورة الكهف: اية ٩ .

(٢٧) المسعودي، مروج الذهب، ج١/ ص٣٤٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٦١ .

(٢٨) من خلال البحث عن مكانهم والاطلاع على خفايا هذا المكان وما جاوره من مدن بلاد الغرب. المسعودي، مروج الذهب، ج١/ ص٣٤٨ .

(٢٩) المسعودي، المصدر نفسه، ج١/ ص٣٤٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٦١ .

(٣٠) سورة فاطر: اية ١؛ سورة النساء: الآيات ١٥١ و١٥٥ و١٥٧ .

(٣١) تاريخ اليعقوبي، ج١/ ص٦٨ وما بعدها .

(٣٢) التنبيه والاشراف ص وما بعدها.

(٣٣) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٢/ ص١٧٤ .

(٣٤) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٠٩ .

(٣٥) رحلة ابن فضلان، ص١١٥- ص١١٦ .

(٣٦) التنبيه والاشراف، ص٢٢؛ صورة الأرض، ص .

(٣٧) تجارب الأمم، ج٦/ ص٩٤ .

(٣٨) رحلة ابن فضلان، ص١١٦ .

(٣٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ٨٨ وما بعدها.

(٤٠) ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٣ .

(٤١) مروج الذهب، ج١/ ص٣١٥؛ الفهرست، ص٣٠٤ .

(٤٢) رحلة ابن فضلان، ص٢٢ .

(٤٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٨٨ .

(٤٤) المصدر نفسه، ج١/ ص٨٨ .

(٤٥) ابن فضلان، رحلة ابن فضلان، ص١١٦ .

(٤٦) التنبيه والاشراف، ص١٦٢؛ مسالك الممالك، ص١٠٩- ص١١٠ .

(٤٧) الأعلاق النفيسة، ص١٢٨ .

(٤٨) مثل ما وقع أثناء حصار مدينة دمياط. الكامل، ج٩/ ص ١٠٥ .

(٤٩) ذكر ابن الأثير مسألة الشورى العسكرية في مواضع كثيرة. ينظر على سبيل المثال لا الحصر: المصدر نفسه، ج٩/ ص٢٠١

(٥٠) ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٥ .

(٥١) الكامل، ج٩/ ص٢٠٥.

(٥٢) الاعتبار، ص٨٤ .

(٥٣) الكامل، ج٩/ ص ٢٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨/ ص٤١٦ .

(٥٤) الكامل، ج٩/ ص ٢٠٣.

(٥٥) الفتح القدسي، ص٢٤٩.

(٥٦) الأعلاق النفيسة، ص١٤٤ .

(٥٧) النوادر السلطانية، ص١٦٧.

(٥٨) السلوك، ج١، ق٢، ص٣٥٧.

(٥٩) الكامل، ج٩/ ص٢٠١.

(٦٠) جغرافية الأندلس وأوربا، ص٢٠٥ .

(٦١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص. ١٣٥.

(٦٢) ابن منقذ، الاعتبار، ص١٣٦-ص ١٣٧.

(٦٣) الاعتبار، ص١٣٦- ص١٣٧ .

(٦٤) المصدر نفسه، ص١٤٠- ص١٤١.

(٦٥) الكامل، ج٩/ ص١٨٦.

(٦٦) الأصفهاني، الفتح القدسي، ص١٣٥.

(٦٧) الاعتبار، ص١٤١.

(٦٨) النوادر السلطانية، ص١٣٦.

(٦٩) نعنعي وآخرون، صورة المرأة الصليبية، ص٣١٦ .

(٧٠) الاعتبار، ص١٣٦- ص١٣٧.

(٧١) الفتح القدسي، ص٢٤٨- ص٢٤٩ .

(٧٢) المصدر نفسه، ص٢٤٩ .

(٧٣) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٢٠٣.

(٧٤) الفتح القدسي، ص٥٩٠.

(٧٥) الاعتبار، ص١٧٧.

(٧٦) الفتح القدسي، ص١٦٦- ص ١٦٧.

(٧٧) ابن الأثير، ج١٠/ ص٤٦١- ص ٤٦٢.

(٧٨) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤/ ص ٢٤٨.

(٧٩) المصدر نفسه، ح٢/ ص٢٥١ .

(٨٠) قرية في مدينة نابلس، أسمها يوناني نسبة الى أوغسطس. مجمع الكنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس، ص١٣٧ .

(٨١) الاعتبار، ص ٣٥.

(٨٢) المصدر نفسه، ص١٦٧- ص ١٦٨ .

(٨٣) الاعتبار، ص٨٣ .

(٨٤) المصدر نفسه، ص٨٤ .

(٨٥) مفرج الكروب، ج٤/ ص٣٣٣ .

(٨٦) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٤٧- ص ٢٤٨؛ أبو الفدا، المختصر، ج٤/ ص٣٩؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٧٠ .

(٨٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ص٢٤١- ص٢٤٢.

(٨٨) الأعلاق النفيسة، ص١٢٦ .

(٨٩) المصدر نفسه، ص١٢٨ .

(٩٠) المسالك والممالك، ج٢/ ص٩١٣ .

(٩١) رحلة ابن فضلان، ص١٢٨ .

(٩٢) التنبيه والاشراف، ص٥٥ .

(٩٣) البلدان، ص٥٤٠ .

(٩٤) المقدمة، ص٤٢- ص٤٣ .

(٩٥) المصدر نفسه، ص٢٨ .

(٩٦) المصدر نفسه، ص ١٧٢ .

(٩٧) المقدمة، ص١٧٢- ص١٧٣ .

(٩٨) العبر، ج٣/ ص٣٧٤ .

(٩٩) المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٩٨.

(١٠٠) المصدر نفسه، ج٣/ ص٤٣٩- ص٤٤٨ .

(١٠١) المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩١، ص٢٩٢، ص ٣٠١، ص٣٠٦ .

(١٠٢) المصدر نفسه، ج٣/ ص٤١٦، وص٤٢٥ .

(١٠٣) المصدر نفسه، ج٣/ ص٤٣٦- ص٤٣٧ .

(١٠٤) المقدّمة، ص٤٠٤ .

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ٤.

(١٠٦) "التاريخ فنّ عزيز المذهب... فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحُسن نظر وتثبّت يُفضيان بصاحبهما إلى الحقّ...لأنّ الأخبار إذا أعتُمد فيها على مجرّد النقل...ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربّما لم يُؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم"، المصدر نفسه، ص ٩ .

(١٠٧) تاريخ، ج١/ ص١٢- ص١٣ .

(١٠٨) مروج الذهب، ج١/ ص٢٠ .

(١٠٩) بدائع الزهور، ص٣ .

مصادر البحث ومراجعه

خير ما نفتتح به القران الكريم

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ):

١- **الكامل في التاريخ**، دار الفكر، (بيروت- د.ت).

* ابن اياس، محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ):

٢- **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة- ١٩٧٢م).

* البرزي، دلال:

٣- **الاخر، المفارقة الضرورية**، بحث منشور ضمن كتاب الاخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه، (د.م- ١٩٩١م).

* البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

٤- **جغرافية الأندلس وأوربا**، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الارشاد، (بيروت- ١٩٦٨م).

٥- **المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلية، دار الكتب العلمية، (بيروت-٢٠٠٣م).

* البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت٥٠٧هـ):

٦- **البدء والتاريخ**، (باريس- ١٨٩٩م).

* ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ):

٧- **رحلة ابن جبير**، تحقيق وتقديم: د. محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، (بيروت- القاهرة- د.ت).

* ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ):

٨- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دار صادر، (بيروت- ١٣٥٨هـ).

* حنفي، حسن:

٩- **مقدمة في علم الاستغراب**، "التراث والتجديد، موقفنا من التراث الغربي"، الدار الفنية، (القاهرة- ١٩٩١م).

* ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي:

١٠- **صورة الأرض**، دار ادر، (بيروت- د.ت).

* ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨ هـ):

١١- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، الشركة العالمية للكتاب ودار الكتاب اللبناني، (بيروت- ١٩٨٦م).

١٢- **المقدمة**، ط٤، دار احياء التراث العربي، (بيروت- د.ت).

* ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت٣١٠هـ):

١٣- **الأعلاق النفيسة**، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٩٨م).

* زيادة، خالد:

١٤- **تطور النظرة الاسلامية الى أوربا**، دار الرياض، (الريس- ٢٠٠٩م).

* ابن شداد:

١٥- **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين الشيال، (د.م- ١٩٦٤م).

* الشيخ، أحمد:

١٦- **من نقد الاستشراق الى نقد الاستغراب**، (القاهرة- ١٩٩٩م).

* الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت٣٦٠هـ):

١٧- **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، (القاهرة- ١٤١٥هـ).

* الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ):

١٨- **تاريخ الرسل والملوك**، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٩٧م).

* أبو الفدا (ت٧٣٢هـ):

١٩- **المختصر في تاريخ البشر**، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت- د.ت).

* ابن فضلان، أحمد بن فضلان:

٢٠- **رسالة ابن فضلان**، تحقيق سامي الدهان، (دمشق- د.ت).

* ابن القلانسي (ت٥٥٥هـ):

٢١- **ذيل تاريخ دمشق**، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، (دمشق- ١٩٨٣م).

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفراء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ):

٢٢- **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- ١٤٠٨هـ).

* مجمع الكنائس الشرقية:

٢٣- **قاموس الكتاب المقدس**، ط٦، (بيروت- ١٩٨١م).

* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ):

٢٤- **التنبيه والاشراف**، دار صعب، (بيروت- د.ت).

٢٥- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الأندلس، (بيروت- د.ت).

* مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ):

٢٦- **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- د.ت).

* المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت٨٤٥ه):

٢٧- **السلوك لمعرفة دولة الملوك**، تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، مكتبة دار الكتب المصرية، (القاهرة- ١٩٧١م).

* مصطفى، شاكر:

٢٨- التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، ط٣، دار العلم (بيروت- ١٩٨٧م).

* ابن منقذ، أسامة بن مرشد الكناني (ت٥٨٤هـ):

٢٩- الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي، الدار المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت- ١٩٨١م).

* نعنعي، عبد المجيد واخرون:

٣٠- **صورة المرأة الصليبية في ظل الاحتلال الافرنجي**، بحث نشر ضمن كتاب المناطق اللبنانية في ظل الاحتلال الفرنجي، منشورات فيلون، (لبنان- ١٩٩٧م).

* النقوي، علي محمد:

٣١- **الاتجاه الغربي من منظار اجتماعي**، منظمة الإعلام الإسلامي، (د.م- ١٩٨٩).

* النملة، علي ابراهيم:

٣٢- **الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب**، (الرياض – ١٤٣٦هـ).

٣٣- **الاستشراق والدراسات الاسلامية**، (الرياض-١٩٩٨م).

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ):

٣٤- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة- د.ت).

* اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر (ت بعد ٢٩٢هـ):

٣٥- **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، (بيروت- د.ت).